ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من كتاب

مختصر
طبقات الحنابلة

تأليف

العلامة الشيخ محمد جميل بن عمر البغدادي

المعروف بابن شطي

دراسة

فواز أحمد زمرلي

دار الكتاب العربي
بيروت

وحمل إلى باب القلعة فصلي عليه مرة اخرى وصلى عليه اخواه الشيخ تقي الدين والشيخ زين الدين عبد الرحمن وهما محبوسان بالقلعة وكان وقتا مشهوداً ثم صلي عليه ثالثة ورابعة وحمل إلى مقابر الصوفية فدفن بها رحمه الله .

* شيخ الإسلام تقي الدين احمد بن تيمية

تقي الدين ابو العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني نزيل دمشق الشيخ الإمام العالم المحقق الحافظ المجتهد المحدث المفسر القدوة الزاهد نادرة العصر شيخ الإسلام قدوة الأنام علامة الزمان صاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها وشهرته تغني عن الاطناب في ذكره ولد بحران يوم الاثنين عاشر ربيع الأول سنة احدى وستين وستمائة وقدم والده به وباخويه إلى دمشق سنة سبع وستين وستمائة وكانوا قد خرجوا من حران مهاجرين بسبب التتار فأخذ الفقه والأصول عن والده وسمع عن خلق كثيرين منهم الشيخ شمس الدين بن قدامة والشيخ زين الدين بن المنجا والمجد بن عساكر واخذ العربية عن ابن عبد القوى ثم اخذ كتاب سيبويه فتأمله وفهمه وعنى بالحديث وسمع الكتب الستة والمسند مرات واقبل على تفسير القرآن الكريم فبرز فيه واحكم اصول الفقه والفرائض والحساب والجبر والمقابلة وغير ذلك ونظر في الكلام والفلسفة وبرز في ذلك على أهله ورد على رؤسائهم واكابرهم ومهر في هذه الفضائل وتأهل للتدريس والفتوى وله دون العشرين سنة وتضلع في علم الحديث وحفظه حتى قالوا كل حدث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث وإذا تكلم في علم ظن سامعه انه لا يعرف غيره وكلامه في تصانيفه كله عجائب وكان يكتب في اليوم والليلة نحو اربع كراريس وكتب الحموية في قعدة واحدة وهي ازيد من ذلك وقد درس بالسكرية والحنبلية في دمشق وامده الله تعالى بكثرة الكتب وسرعة الحفظ وقوة الادراك والفهم والف في اكثر العلوم التأليف العديدة وصنف التصانيف المفيدة في التفسير والفقه والأصول والحديث والكلام والردود على الفرق الضالة والمبتدعة وله الفتاوي المفصلة في حل المسائل المعضلة ـ فمن أعيان مصنفاته

كتاب الايمان مجلد . كتاب الاستقامة مجلدان . جواب الاعتراضات المصرية على الفتاوي الحموية اربع مجلدات . بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعمهم الكلامية ست مجلدات كبار . كتاب المحنة المصرية مجلدان . المسائل الاسكندرية مجلد . الفتاوي المصرية سبع مجلدات . وكلها ما عدا كتاب الايمان كان صنفها في السجن وهو في مصر في مدة سبع سنين وكتب معها اكثر من مائة لفة ورق ايضاً . كتاب رد تعارض العقل والنقل اربع مجلدات كبار . الجواب عما اورده الشيخ كمال الدين الشريشي على هذا الكتاب نحو مجلد . كتاب منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية اربع مجلدات . الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح مجلدان . شرح اول المحصل للرازي مجلد . شرح بضعة عشر مسألة من الاربعين للرازي مجلدان . الرد على المنطق مجلد كبير . الرد عَلَى البكري في مسألة الاستغاثة مجلد . الرد على اهل كسروان الروافض مجلدان . الرد على من قال ان معجزات الانبياء قوى نفسانية مجلد شرح عقيدة الاصفهاني مجلد . شرح العمدة للشيخ موفق الدين كتب منه اربع مجلدات تعليقة على المحرر في عدة مجلدات . الصارم المسلول على شاتم الرسول مجلد . بيان الدليل على بطلان التحليل مجلد . اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة اصحاب الجحيم مجلد التحرير في مسألة حفير مجلد . الرد على من رد عليه في مسألة الطلاق ثلاث مجلدات كتاب تحقيق الفرقان بين الطلاق والايمان مجلد كبير . الرد على الاخنائي في مسألة الزيارة مجلد ـ وأما القواعد المتوسطة والصغار واجوبة الفتاوي فلا يمكن الاحاطة بها لكثرتها وانتشارها وتفرقها ومن اشهرها الفرقان بين اولياء الرحمن وأولياء الشيطان . الفرقان بين الحق والبطلان السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية . رفع الملام عن الأئمة الاعلام . والكل منها مجلد لطيف وله اختيارات مشهورة انفرد بها عن مذهبه بل عن المذاهب الاربعة ـ وقد قام على الشيخ خلق من علماء مصر والشام قياماً لا مزيد عليه فجرى بينه وبينهم حملات حربية ووقعات شامية ومصرية وهي كثيرة فمنها أنه امتحن سنة خمس وسبعمائة بالسؤال عن معتقده بأمر السلطان فجمع نائبه القضاة والعلماء بالنصر واحضر الشيخ وسأله عن ذلك فبعث الشيخ فاحضر من

داره العقيدة الواسطية فقرأوها في ثلاثة مجالس ووقع الاتفاق على أنها عقيدة سنية سلفية ثم تعصب عليه جماعة في مصر فطلبه ابن مخلوق قاضي المالكية إلى القاهرة على البريد فوصلها في حادي عشر رمضان من السنة المذكورة وحبس بالقلعة وعقد له مجلس فلم يثبت عليه شيء ثم حبس هو وأخوه شرف الدين في برج ويقال ان شرف الدين هذا ابتهل ودعا الله عليهم فمنعه الشيخ وقال له بل قل اللهم هب لهم نوراً يهتدون به وفي ربيع الأول سنة سبع وسبعمائة اطلق الشيخ من السجن فأقام بمصر يقرىء العلم ويجتمع عليه الخلق ثم حصل منازعة بينه وبين جماعة من الصوفية فحبس ثم اخرج إلى الاسكندرية إلى برج حسن ولما تولى الملك الناصر محمد بن قلاون في شوال سنة تسع وسبعمائة احضر الشيخ إلى القاهرة واكرمه اكراماً زائداً وتلقاه في مجلس حافل فيه القضاة والفقهاء واعيان الدولة وسكن الشيخ بالقاهرة والناس يترددون اليه ثم قدم دمشق هو وأخواه شرف الدين عبد الله وزين الدين عبد الرحمن عام اثني عشر وسبعمائة بنية الجهاد لما قدم السلطان لكشف التتار فخرج خلق كثير لتلقيه وسر الناس بمقدمة وفي سنة ثمان عشرة وسبعمائة ورد من السلطان امر يمنعه من الفتوى في مسألة الطلاق وعقد له مجلس بدار السعادة ثم عقد له ثانية ثم ثالثة وحبس بالقلعة ثم حبس مرة اخرى ومنع بسبب ذلك من الفتيا مطلقاً فأقام مدة يفتي بلسانه ويقول لا يسعني كتم العلم ثم تكلموا معه في مسألة المنع من السفر إلى قبور الانبياء والصالحين وافتى قضاة مصر الأربعة بحبسه فحبس بقلعة دمشق سنتين واشهراً حتى مات رحمه الله وقد بقي مدة في القلعة يكتب العلم ويصنفه ويرسل إلى اصحابه الرسائل حتى انه قال قد فتح الله علي بهذا الحصن هذه المرة معاني القرآن ومن اصول العلم باشياء مات كثير من اهل العلم يتمنونها ثم انه منع من الكتابة ولم يترك عنده دواة ولا قلم ولا ورق فاقبل على التلاوة والتهجد والذكر . وقال مرة ما يصنع اعدائي بي انا بستاني في صدري اين رحت فهو معي انا حبسي خلوة وقتلي شهادة واخراجي من بلدي سياحة ولما دخل القلعة وصار داخل سورها نظر اليه وقال فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وقد حدث الشيخ كثيراً وسمع منه خلق من الحفاظ

وغيرهم من الحديث ومن تصانيفه ـ وبالجملة فكان الشيخ لمزيد علمه لا تقوى عَلَى مناظرته الخصوم ولشدة لهجته لا يثبت على عشرته احد إلا قليلاً حتى أن أبا حيان المفسر النحوي كان اجتمع به وامتدحه بابيات نظمها بديهة وانشده أياها وهي قوله :

لما اتانا تقي الدين لاح لنا	داع إلى الله ما له وَزَرُ
على محياه من سيما الاولى صحبوا	خير البرية نور دونه القمر
حبر تسربل منه دهره حبراً	بحر تقاذف من امواجه الدرر
قام ابن تيمية في نصر شرعتنا	مقام سيد تيم اذ مضت مضر
واظهر الحق اذا اثاره اندرست	واخمد الشر إذ طارت له شرر
يا من يحدث عن علم الكتاب اصخ	هذا الإمام الذي قد كان ينتظر

ثم ناظره ابن حيان في مسألة احتج فيها بكلام لسيبويه فقال له الشيخ ما كان سيبويه نبي النحو ولا معصوماً بل اخطأ في الكتاب في ثمانين موضعاً لا تفهمها انت فكان ذلك سبب المقاطعة بينهما فذكره ابو حيان في تفسيره البحر ومختصره النهر بكل سوء ـ وكتب قاضي القضاة ابن الزملكاني تحت طرة بعض كتب الشيخ ما صورته :

ماذا يقول الواصفون له	وصفاته جلت عن الحصر
هو حجة لله قاهرة	هو بيننا اعجوبة الدهر
هو آية في الخلق ظاهرة	انواره اربت على الفجر

وقال العلامة ابن حجى انشدني الشيخ شمس الدين الموصلي لنفسه :

أن كان اثبات الصفات جميعها	من غير كيف موجباً لومى
واصير تيمياً بذلك عندكم	فالمسلمون جميعهم تيمي

ولم يل الشيخ شيئاً من الولايات مع تأهله لذلك وتمكنه بل كان متقللاً زاهداً قانعاً باليسير إلى آخر حياته وكان دخوله القلعة في شعبان سنة ست وعشرين وتوفي بها ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين

وسبعمائة بعد أن مرض بضعة وعشرين يوماً فاعلن لموته في القلعة وفي منائر دمشق فاجتمع الناس في القلعة حتى خرجت جنازته باحتفال عظيم جداً ثم جيء بها إلى جامع دمشق فصلي عليها في المقصورة مراراً ثم خرج الخلق بالجنازة حتى وصلوا بها إلى مقابر الصوفية فدفن الشيخ بها وقد اغلقت دمشق في ذلك اليوم وكان يوماً مشهوداً لم يعهد مثله وختمت على قبره ختمات واسرجت له مصابيح وافرد له الشمس بن عبد الهادي المقدسي وهو من أخص تلامذته ترجمة في مجلدة وكذلك ابو حفص عمر بن علي البزار البغدادي في كراريس وترجمه كاتم السر بالديار المصرية والشامية في تاريخه ووضع فيه الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي كتاب الرد الوافر عَلَى من قال أن من سمي ابن تيمية شيخ الإسلام فهو كافر وقد قرظه جماعة من مشاهير العلماء بمصر وانشد الحافظ شمس الدين محمد بن احمد الذهبي يرثي الشيخ بابيات مطلعها :

يا موت خذ من اردتُ أو فدع ... محوت رسم العلوم والورع

وقال فيه الإمام ابن الوردي :

عثى في عرضه قوم سلاط ... لهم من نثر جوهره التقاط
تقي الدين احمد خير حبر ... خروق المعضلات به تخاط
توفي وهو محبوس فريد ... وليس له إلى الدنيا انبساط
ولو حضروه حين قضى لالفوا ... ملائكة النعيم به احاطوا
قضى نحبا وليس له قرين ... ولا لنظيره الف القماط
فتى في علمه اضحى فريداً ... وحل المشكلات به يناط
وكان إلى التقى يدعو البرايا ... وينهي فرقة فسقوا ولاطوا
وكان الجن تفرق من سطاه ... بوعظ للقلوب هو السياط
فيالله ما قد ضم لحد ... ويا لله ما غطى البلاط
هم حسدوه لما لم ينالوا ... منافيه فقد مكروا وشاطوا
وكانوا عن طرائفه كسالى ... ولكن في اذاه لهم نشاط
وحبس الدر في الاصداف فخر ... وعند الشيخ في السجن اغتباط
بآل الهاشمي له اقتداء ... فقد ذاقوا المنون ولم يواطوا

بنو تيمية كانوا فبانوا نجوم العلم ادركها انهباط
ولكن يا ندامة حابسيه فشك الشرك كان به يماط
ويا فرح اليهود بما فعلتم فإن الضد يعجبه الخباط
ألم يك فيكم رجل رشيد يرى سجن الإمام فيستشاط
امام لا ولاية كان يرجو ولا وقف عليه ولا رباط
ولا جاراكم في كسب مال ولم يعهد له بكم اختلاط
ففيم سجنتموه وعظتموه أما لجزا اذيته اشتراط
وسجن الشيخ لا يرضاه مثلي ففيه لقدر مثلكم انحطاط
اما والله لولا كتم سري وخوف الشر لا نحل الرباط
وكنت اقول ما عندي ولكن باهل العلم ما حسن اشتطاط
فما احد إلى الانصاف يدعو وكل في هواه له انخراط
سيظهر قصدكم يا حابسيه وننبئكم إذا نصب الصراط
فها هو مات عنكم واسترحتم فعاطوا ما اردتم ان تعاطوا
وحلوا واعقدوا من غير رد عليكم قد طوى ذاك البساط

وكان الشيخ ابيض اللون اسود الرأس واللحية قليل الشيب شعره إلى شحمتي اذنيه كأن عينيه لسانان ناطقان ربعة من الرجال بعيد ما بين المنكبين جهوري الصوت ولم يتزوج حتى مات رحمه الله ورضي عنه وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيراً كثيراً امين .

يقول المختصر : معلوم أن الشيخ قد افرده بالترجمة حفاظ ومؤرخون وعلماء كثيرون فاطالوا في سيرته وأطنبو وبسطوا واسهموا وإن بعض هذه الكتب قد طبع ونشر ولذا فقد حررنا ترجمته هنا بما نرجو أن يكون فيه بلاغ لمحبيه وحجة على اللاغين فيه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

* شهاب الدين احمد بن جبارة

الشيخ شهاب الدين ابو العباس احمد ابن الشيخ تقي الدين ابي عبد الله محمد بن عبد المولى بن جبارة المقدسي المقري الفقيه الأصولي النحوي ولد سنة